

قضايا ملتبسة في المناهج التعليمية

(إشكالية في المنطلقات المفهومية والمعرفية)

التاريخ: 24/حزيران/2022

إعداد: عباس كنعان¹

شهدت الأوساط العلمية والبحثية المهتمة، والمختصين والمعنيين بشأن إعداد وتطوير المناهج التعليمية في لبنان، لا سيما في السنوات الثلاثة الماضية، إشكاليات متعددة، منها ما يرتبط بتحديد مجموعة من القضايا والمصطلحات، وما يمكن أن تتضمن أو تستلزم من مفاهيم ومحتوى وأبعاد معرفية وثقافية على مستوى الكفايات والمضامين التعليمية والتربوية في المناهج الرسمية، كالجنودر أو النوع الاجتماعي، في ظل ما يطرح من قضايا حقوق المتعلم في اختيار هويته الجنسية أو الجندرية²، والمساواة بين الجنسين، وقضايا المرأة، والتعددية الثقافية، والتنوع الثقافي والتعددية الدينية، والفرق بينهما، بالإضافة إلى المواطنة العالمية، وقيم الواحد والعشرون، وما حوته وثيقة 2030³ من ملابسات ثقافية ومفهومية وإشكاليات مبهمة في بعض الأحيان⁴، فضلاً عن دلالات مصطلح مؤسسات أو منظمات المجتمع المدني والأهلي، ومقاربة سمات المتعلم اللبناني، ومفهوم التربية الوطنية والتربية الوطنية، والعولمة التربوية، ورفاهية المجتمع ورفاهية الفرد، وإشكالية المساواة أو العدالة التربوية.

يُضاف إلى ما تقدم، إشكالية التعامل مع منهجية كتاب التاريخ، ومقاربة قضية هامة وحساسة كالدولة المدنية، وقضايا المرأة ومندرجات القضايا الإشكالية التي تحتويها، وطرح قضية الغياب النسبي للنساء عن مناصب السلطة، وتحديات ضد نظام السلطة الأبوي، حيث تعمل العديد من الجمعيات على سن قوانين وتشريعات من أجل إضعاف سلطة الأب في الأسرة، وتمكين النساء، ساعيةً للانقلاب على الموروث والعادات والتقاليد، وباحثةً عن دور اجتماعي وسياسي ... لها في المجتمع، بالإضافة إلى التحيز الجنسي والعنصرية وعدم المساواة الاقتصادية (كاختيار الوظيفية والمعاش الشهري...)، وتكافؤ الفرص: في المجتمع والتعليم والعمل...، فضلاً عما يُطرح حول قضية الأمومة، من مدخلية طرح إشكالية ما إذا كانت الأمومة لا تزال لها الدور الأساس والمقدس في المجتمع؟ أم أنّ هناك أمور أخرى أهم يجب الاهتمام بها؟! مما قد يؤدي إلى رفض الزواج والعنوسة، كذلك قضية زيادة معدلات الوفيات بين الأمهات (طبية، اجتماعية، أسرية): بسبب معدلات الانجاب المرتفعة وبسبب حالات القتل التي تتعرض لها من قبل الشريك، وقضية الصحة الإنجابية وحرية الاجهاض، والتحرش، والحرية الجنسية، وما إلى ذلك من قضايا تُطرح في مجال المرأة والأسرة، كذلك على مستوى مفهوم ومصطلح العولمة التربوية، و الاعتراف بالآخر، وحدود ذلك، خاصة في ظل إشتباك وجودي بين لبنان والكيان الصهيوني المؤقت والغاصب.

1 - مدير تطوير المناهج في مركز الأبحاث والدراسات التربوية، دكتوراه في إعداد وتصميم المناهج التربوية.

2 - وان كان هذا الطرح كغيره من القضايا، التي تطرح من خلفية معالجة واقع مأزوم فعلاً، كحق التعليم، وحق اختيار التخصص ومهنة العمل، واختيار البيئة التعليمية الملائمة، ...، وغيرها من الحقوق المطلوبة حقيقة.

3 - بناء لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وضمن الدورة السبعين، بتاريخ 25 أيلول، من العام 2015م، للحصول عليها بشكلها الكامل، راجع الرابط التالي: <https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals/>

4 - راجع مقالة للكاتب (عباس كنعان) نشرت على موقع مركز الأبحاث والدراسات التربوية: www.un.org.lb. بعنوان: قراءة نقدية لوثيقة التنمية المستدامة 2030"، بتاريخ: 2019/09/30.

إنّ طرح هذه المفاهيم والمصطلحات، لا يمكن أن يأتي دون مقارنة نظرية لها، أو دون ارتكاز إلى فهمٍ ما يضعها في هذا الاتجاه أو ذاك، فمصطلح "الحوار والانفتاح على الآخر"، لا يمكن أن يُترك دون أن نجعل له محددات مفهومية تمنع من دخول الكيان الصهيوني الغاصب والمؤقت تحت مظلته ومقارنته، وما هي المفاهيم أو المصطلحات المطلوب التنبيه إليها أو حذفها وعدم اعتمادها في هذا الجانب أثناء وضع المناهج؟ وما هي المفاهيم والمصطلحات التي لا بد من اعتمادها كبديل؟ وما هي مقارنتنا لها؟... إلخ.

لا شك بأنّ وثيقة 2030، أو أهداف التنمية المستدامة، والمعروفة أيضاً باسم خطة التنمية المستدامة، الصادرة عن إحدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة اليونسكو، تحتوي -أيضاً- على الكثير من الملاحظات المفهومية التي لا بد من تحديدها، أو مناقشتها، ومقارنتها بشكلٍ واضح وبيّن، يدفع ما يمكن أن يحيط بها من إشكاليات معرفية، أو مفهومية أو اجتماعية، فلا يخفى على المتابعين مدى ما أثارته هذه الوثيقة من نقاشات على مستوى الكثير من بلدان العالم، بالرغم من أنها حصلت على موافقة الأكثرية في الجمعية العمومية، مع الكثير من التحفظات، أو الرفض على مستوى برلمانات العديد من الدول والمنظمات العالمية⁵، فما هي استراتيجيتنا في التعامل مع هذه الوثيقة بعد أن أصبحت مصدرًا لتصميم المناهج في العديد من الدول ومن ضمنها الدولة اللبنانية؟ وما هي المصطلحات الشائكة في الوثيقة التي لا بد من الالتفات إليها والتنبيه لها، خاصة عند تصميم وإعداد المناهج التعليمية!؟

إنّ مبحث المصطلح والمفهوم في أي علمٍ من العلوم، يأخذ حيزًا واسعًا في الدراسة، وذلك لتحديد موضوع البحث، ومداليه المفهومية واللغوية، ومندرجاته ومستلزماته العلمية والمعرفية، وهو مبحث تأسيس لا بد منه، إلا أنّ هذا الموضوع في المناهج التعليمية يأخذ بعدًا أوسع، وعمقًا أكثر إحاطة وإشكالية، وذلك لما يمكن أن يتضمّن أو يعكس من معارف وتعاليم واتجاهات تعليمية وتربوية لدى المتربين أو المتعلمين، انطلاقًا من الاختلاف في المقاربات المفهومية والمعرفية التي تُساق عند تحديد الكفايات التربوية، أو تنطلق منها عند صوغ الأطر المرجعية لتطوير أو إعداد المناهج التعليمية، وكيف ذلك في واقع دولة مازومة على أكثر من صعيد، وتعددية وتنوّع ديني وثقافي وفكري عالٍ المستوى مثل لبنان، وخاصةً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفجوات المعرفية أو العلمية التي يمكن أن يحدثها ذلك على المستوى الوعي العام في المجتمع اللبناني، في ظل ضعف الرقابة والتوجيه التربوي، والخلل الحاصل على مستوى التخطيط التربوي العام، بسبب مجموعة من العوامل التي ترتبط، بالإشكالية العميقة لنظام الحكم وإدارات الدولة، ومشكلة الخلل الحاصل على مستوى تمثيل ومشاركة مختلف أطياف ومكونات المجتمع في عملية تطوير المناهج التعليمية، مشاركة حقيقية وفاعلة ومؤثرة، لا شكلية أو صورية، إذ أن عملية المناهج التعليمية ترتبط ارتباطًا وثيقًا في عمق تشكيل وكيان الهوية الثقافية والاجتماعية والعلمية لأي مجتمعٍ من المجتمعات، وترجمة حقيقة للمخزون والاتجاه الفكري والثقافي لمكوناته المتعددة، ففي لبنان لا يمكن إغفال العنصر والمكوّن الأساس من مكونات الهوية اللبنانية، وهو عنوان وقضية المقاومة، فلبنان المقاوم للكيان الإسرائيلي الغاصب والمؤقت لا يمكن، وليس من الصحيح

5 - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization)، أو ما يعرف اختصاراً باليونسكو (UNESCO)، هي وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة تأسست عام 1945م، للمنظمة خمسة برامج أساسية هي التربية والتعليم، والعلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والثقافة، والاتصالات والإعلام.

أن يقتصر الأمر على إيراد مفردة هنا، أو عبارة أو كفاية تعليمية هناك، بل لا بدَّ وأن تسري روح المقاومة في المنطلقات التأسيسية المعرفية للأطر المرجعية، والمقاربات العلمية والنظرية التي تنطلق منها عملية إعداد وهندسة المناهج وتطويرها، بحيث يُترجم ذلك في كل المخططات والمندرجات والإعدادات والإصدارات التي تنتج عن هذه المناهج، ومن أدلة، وكتب، وخرائط، وملحقات بيانية، وإعدادات فنية وتقنية ملحقه،... إلخ، فضلاً عما يمكن أن تتضمن البرامج والورش والدورات المؤهلة للكادر الإداري والتعليمي، لما يتصف به من دور محوري في العملية التربوية والتعليمية.

والله ولي التوفيق